جُزْءٌ فِيهِ

شَرْحُ مَثَلِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلَّذِي ضَرَبَهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين
وبعد فقد خرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث العرباض بن سارية
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران
فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا
أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من جوف الصراط فإذا
أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه والصراط
الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس
الصراط كتاب الله عز وجل والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم. هذا لفظ
الإمام أحمد وعند الترمذي زيادة والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم وحسنه الترمذي وخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم
ولا أعلم له علة. فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم الذي حكاه
عن ربه عز وجل مثل الإسلام بالصراط المستقيم وقد سمى الله دينه الذي هو دين
الإسلام صراطا مستقيما في مواضع كثيرة كما قال تعالى اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد
فسر الصراط هنا بكتاب الله وكتاب الله هو دين الإسلام وبيانه وتفصيله
والدعوة إليه وجعل الصراط المستقيم هو الذي يدعو إليه من في السماء والأرض
تعالى يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم تعالى فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط
مستقيم تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله وخرج الإمام أحمد والنسائي في تفسيره والحاكم من حديث
ابن مسعود قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل
الله مستقيما وخط عن يمينه وشماله ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا
عليه الشيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث
عبد الله بن مسعود من حديث جابر قال كنا جلوسا عند الرسول الله صلى الله عليه وسلم فخط خطا هكذا
أمامه قال هذا سبيل الله وخط عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذه سبل الشيطان
ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية
وروي عن ابن مسعود أنه سئل عن الصراط المستقيم فقال ركنا يحبه إلى الله عليه
ثلاثة أكناف وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال
يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على
الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
الآية وهو حق وتصديق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أن الصراط المستقيم
المقصود هو الدين الإسلام فإن النار على جانبي الطريق وأبواب مفتحة
وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى رأس الطريق داعي الله وفوقه داعي الله
كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره وأما الطرق المخالفة لهذا الطريق
فإنها طرق توصل إلى النار لا إلى الجنة وهذا الطريق الموصل إلى الجنة
هو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال نوح وأمرت أن أكون من
المسلمين وقال تعالى ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي
هذه وصى بها إبراهيم ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون وقد أخبر سبحانه أنه قائم بالقسط في الخلق كلهم
في الدنيا والآخرة توفى مسلما وألحقني بالصالحين وقال تعالى عن ملكة سبا
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال عن الكفار أنهم قالوا اشهدوا
بأنا مسلمون وقد وصف الله في سورة الفاتحة الصراط بأنه صراط الذين أنعم
عليهم ثم ذكر الذين أنعم عليهم في سورة النساء وجعلهم أربعة أصناف
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وبين أن هؤلاء كلهم
على هذا الصراط المستقيم ما سرح منهم إلا أنا مغضوب عليهم وهو من
عرف الصراط وسلك غير سبيل المغضوب عليهم وهو من عرف الحق ولم يعمل به
والضالين الذين سلكوا سبيلا بلا علم وهو من عمل بلا علم

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

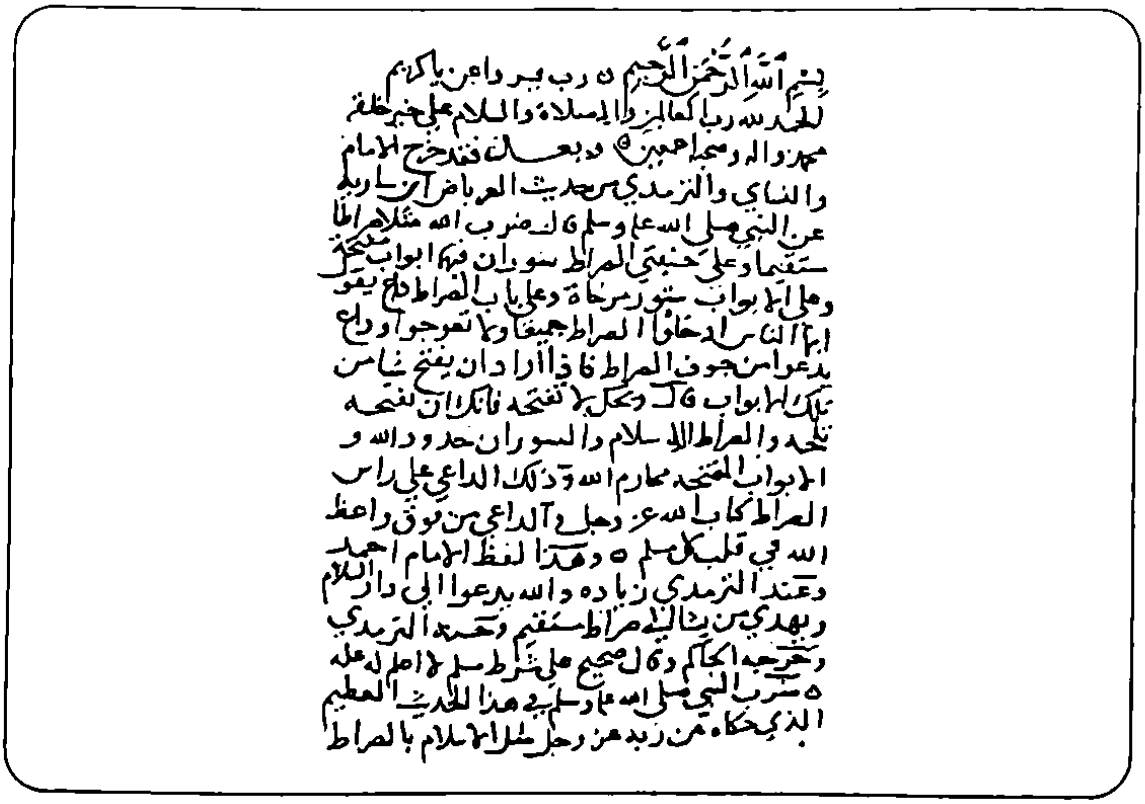

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه
محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فقد خرج الإمام
والنسائي والترمذي من حديث العرباض بن سارية
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا
مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة
وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول
أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع
يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئا من
تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه
تلجه والصراط الإسلام والسوران حدود الله و
الأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس
الصراط كتاب الله عز وجل والداعي من فوق واعظ
الله في قلب كل مسلم هذا لفظ الإمام أحمد
وعند الترمذي زيادة والله يدعو إلى دار السلام
ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وحسنه الترمذي
وخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولا أعلم له علة
فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم
الذي حكاه عن ربه عز وجل مثل الإسلام بالصراط

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا إلى دين الإسلام وأوضح لنا معالم الحلال والحرام، وجعلنا من أتباع خاتم الرسل الكرام، سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واستقام.

أما بعد:

فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد صَوَّر لنا النبي ﷺ في هذا المثال الذي ذكره فيما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه: الإسلام، وحدود الله وشرائعه من الحلال والحرام، ودعوة القرآن، ووجدان المؤمن الواعظ له في قلبه.

وضربُ الأمثال أسلوب قرآني، وسنة نبوية، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومن الربانيّة في التعليم: عرض الكليات وتعليمها وحسن تصويرها والجمع بينها قبل الدخول في مضائق الجزئيات والتعمق في معرفة وجوه الاختلاف فيها.

وعَرْضُ الإسلام بجملته أقرب إلى إدراك مقاصده وفهم كماله والتنعم بجماله مِنْ تعليمِ الجزئيات دون ما يربط بينها.

وقد بيَّن الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى تلك المعالم الكلية في شرحه لهذا الحديث الشريف بأسلوبه الشائق اللطيف، وهو شرح جدير أن يعتمد في

الحلقات العلمية للمبتدئين في تعلم الدين، لترسيخ مبادئه وكلياته. والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه: «مثل الإسلام»، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، وسماه: «شرح حديث مثل الإسلام».

واعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسختين خطيتين:

١ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت):

وهي الرسالة العاشرة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٨) لوحات (من ٧٠/ ب إلى ٧٧/ أ) وهي مقابلة، وفي ضمنها بياض أشرت إليه.

لم يذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، وتاريخ نسخ المجموع سنة ٨٥٢.

٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف):

وهي الرسالة الثالثة عشرة من المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في ١٢ لوحة، (من ١٨٨/ ب إلى ١٩٨/ أ) وفيها البياض نفسه الذي في (ت) وهي مخرومة من آخرها مقدار صفحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ربِّ يسِّرْ وأعِنْ يا كريمُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خلقِه محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه أجمعين.

وبعدُ:

فقد خرَّجَ الإمامُ أحمدُ[1]، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ [مِن حديثِ النَّواسِ بنِ سَمْعان][2]، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «ضرَبَ اللهُ مثَلاً صِراطاً مستقيماً، وعلى جنبَتي الصِّراطِ سُورانِ، فيهما أبوابٌ مُفتَّحةٌ، وعلى الأبوابِ سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى بابِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ: يا[3] أيُّها النَّاسُ ادخُلوا الصِّراطَ جميعاً، ولا تَعَوَّجُوا[4]، وداعٍ يدعو مِن جوفِ[5] الصِّراطِ، فإذا أرادَ أن يفتَحَ شيئاً مِن تلك الأبوابِ قال:

---

(١) «أحمد» سقطت من (ف).

(٢) جاء في النسختين (ت) و(ف)، وكذلك في موضعين من كتاب المصنف «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١)، و(١/ ٤٣٥): «من حديث العرباض بن سارية»، ولعله من سبق الذهن. فالوهم ليس من النُّسَّاخ، وأثبتُّ الصواب بين معكوفتين ليتنبه له.

(٣) «يا» زيادة من (ت). ولا توجد في مطبوعة المسند.

(٤) من (ف)، وفي (ت): «ولا تعرجوا». وفي مطبوعة الرسالة من المسند: «ولا تتعرجوا». قال الناجي في «عجالة الإملاء»: «ولا تَعَوَّجوا» أصلها تتعوجوا بتائين فحذفت إحداهما تخفيفاً، ولفظ الأصبهاني في ترغيبه: «تتعوجوا» وكذا الإمام أحمد في أحد لفظي حديث النواس.

(٥) هي هكذا في «المسند»، ولم يحسن ناشر طبعة الرسالة بإثباتها من مصادر التخريج: «فوق».

ويحكَ لا تفتَحْهُ فإنَّك إن تفتَحْه تَلِجْه، والصِّراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ المفتَّحةُ محارمُ اللهِ، وذلك الدَّاعي على رأسِ الصِّراطِ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ، والدَّاعي مِن فوقُ واعظُ اللهِ في قلبِ كلِّ مُسلمٍ» فهذا لفظُ الإمامِ أحمدَ[1].

وعند التِّرمذيِّ زيادةٌ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥] وحسَّنَه التِّرمذيُّ[2]، وخرَّجَه الحاكمُ وقال: صحيحٌ على شرطِ مُسلمٍ لا أعلمُ له عِلَّةً[3].

* * *

ضرَبَ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ العظيمِ الذي حكاهُ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ مثلَ الإسلامِ بالصِّراطِ المستقيمِ، وقد سمَّى اللهُ دينَه الذي هو دينُ الإسلامِ صِراطاً مُستقيماً في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه، كقولِه تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

وقد فُسِّرَ الصِّراطُ هنا بكتابِ اللهِ، وكتابُ اللهِ فيه شرحُ دينِ الإسلامِ وبيانُه، وتفضيلُه، والدَّعوةُ إليه.

وعن جابرٍ قال: الصِّراطُ المستقيمُ هو الإسلامُ، وهو أوسَعُ ممَّا بين السَّماءِ والأرضِ[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٦٣٤). وفي موضع آخر من «المسند» (١٧٦٣٦). وكتب أحدهم في حاشية (ف): «تمثيلات عجيبة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٥٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وسقطت (حسن) من بعض طبعاته. والنسائي (١١١٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ١٧٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، والنَّسائيُّ في «تفسيره»، والحاكمُ مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ قال: خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِه، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللهِ مُستقيماً»، وخطَّ عن يمينِه وشِمالِه ثمَّ قال: «هذه السُّبُلُ ليس مِنها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه»، ثمَّ قرأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجَه مِن حديثِ مجالد[2]، عنِ الشَّعبيِّ، عن جابرٍ قال: كنَّا جُلوسًا عند النَّبيِّ ﷺ فخطَّ خطًّا هكذا أمامَهم، قال: «هذا سبيلُ اللهِ»، وخطَّيْنِ عن يمينِه وخطَّينِ عن شمالِه، وقالَ: «هذه سبيلُ[3] الشَّيطانِ»، ثمَّ وضعَ يدَه في الخطِّ الأوسَط، ثمَّ تلا هذه الآيةَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣][4] الآية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١١٠)، والحاكم (٢/ ٣١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) كتبت في (ت): «مجاهد» ثم أصلحت إلى «مجالد»، وهي في (ف): «مجاهد».

(٣) في (ت): «سبل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٧٧)، وابن ماجه (١١) بنحوه.

وقد رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أنَّه سُئِلَ عن الصِّراطِ المستقيمِ فقال: تركَنا محمَّدٌ ﷺ في أَدْناه، وطرَفُه في الجنَّةِ، وعن يمينِه جوادُّ وعن يسارِه جوادٌّ[1]، وثَمَّ رِجالٌ يَدْعُوْن مَنْ مَرَّ بهم[2]، فمَن أخذَ في تلك الجَوادِّ انتهَتْ به إلى النَّارِ، ومَن أخذَ على الصِّراطِ انتهى بهِ إلى الجنَّةِ. ثمَّ قرأَ ابنُ مسعودٍ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾. خرَّجه ابنُ جريرٍ وغيرُه[3].

وإنَّما سُمِّيَ الصِّراطُ صِراطًا: لأنَّه طريقٌ واسِعٌ سهلٌ يوصِلُ إلى المقصودِ، وهذا مَثَلُ دينِ الإسلامِ في سائرِ الأديانِ؛ فإنَّه يُوصِلُ إلى اللهِ، وإلى دارِه وجِوارِه، مع سُهولتِه وسَعَتِه.

وبقيَّةُ الطُّرُقِ وإن كانَت كثيرةً فإنَّها كلَّها مع ضيقِها وعُسرِها لا تُوصِلُ إلى اللهِ، بل تقطعُ عنه، وتُوصِلُ إلى دارِ سخطِه وغضبِه ومجاورةِ أعدائِه، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلامُ العامُّ: هو دينُ اللهِ الذي كان عليه جميعُ الرُّسُلِ، كما قالَ نوحٌ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقالَ تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال عن يوسفَ إنَّه قالَ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا

---

(١) «وعن يساره جواد» زيادة من (ت).

(٢) في (ف): «يدعون ربهم»! وهو تصحيف عجيب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٨٢)، وابن وهب في التفسير من «جامعه» (٨١)، والطبري (٩/ ٦٧١).

وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقالَ تعالى عن ملِكةِ سبَأٍ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤]، وقالَ عن الحواريِّين إنَّهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد وصفَ اللهُ في سورةِ الفاتحةِ الصِّراطَ بأنَّه: صراط الذين أنعم[1] عليهم، ثمَّ سمَّى الذين أنعمَ عليهم في سورة النِّساءِ، وجعَلَهم أربعةَ أصنافٍ: النَّبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءَ، والصَّالحينَ[2]، فدلَّ على أنَّ هؤلاءِ كلَّهم على هذا الصِّراطِ المستقيمِ، فلا يخرجُ عنهم إلَّا إمَّا مغضوبٌ عليه، وهو مَن عرَفَ الصِّراطَ وسلَكَ غيرَه عَمْدًا كاليَهودِ والمُشركينَ، وإمَّا ضالٌّ جاهلٌ، يسلُكُ غيرَ الصِّراطِ جَهْلاً ويظنُّ أنَّه الصِّراطُ.

وحقيقةُ الإسلامِ: الاستسلامُ للهِ تعالى والانقيادُ لطاعَتِه.

* * *

وأمَّا الإسلامُ الخاصُّ فهو دينُ محمَّدٍ ﷺ، ومنذُ بعثَ اللهُ محمدًا ﷺ لم يقبَلْ مِن أحدٍ دِيناً غيرَ دينِه، وهو الإسلامُ الخاصُّ، وصارَتْ بقيَّةُ الأديانِ كُفرًا لِمَا تضمَّنَ اتِّباعُها مِن الكُفرِ بدينِ محمَّدٍ، والمعصيةِ للهِ في الأمرِ باتِّباعِه، فإنَّه ليس هناكَ إلَّا أحَدُ أمرَيْنِ:

إمَّا الاستسلامُ للهِ والانقِيادُ لطاعتِه وأوامرِه، وهو دينُ الإسلامِ الذي أمرَ اللهُ تعالى بهِ.

---

(١) في (ف): «أنعمت».

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وإمَّا المعصيةُ للهِ والمخالفةُ لأوامِرِهِ، وذلك يستلزِمُ طاعةَ الشَّيطانِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يأمرُ بسُلوكِ الطُّرُقِ التي عن يمينِ الصِّراطِ وشِمالِه، ويصدُّ عن سُلوكِ الصِّراطِ المُستقيمِ، كما قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦١].

قالَ تعالى حاكيًا عنِ الشَّيطانِ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٨].

وقالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٢].

وصحَّ عنِ ابنِ مَسعودٍ أنَّه قال: إنَّ هذا الصِّراطَ مُحتضَرٌ تحضرُه الشَّياطينُ: يا عبدَ اللهِ! هذا الطَّريقُ هلمَّ إلى الطَّريقِ، فاعتصِمُوا بحبلِ اللهِ؛ فإنَّ حبلَ اللهِ هو القُرآنُ[1].

وهذا كما أنَّ الكتُبَ المنزلةَ والرُّسلَ المُرسلةَ وأتباعَهم يدعونَ إلى اتِّباعِ الصِّراطِ المُستقيمِ، فالشَّيطانُ وأعوانُه وأتباعُه مِن الجنِّ والإنسِ يدعونَ إلى بقيَّةِ الطُّرُقِ الخارجةِ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ، كما قالَ تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]. والإسلامُ له هو الاستِسلامُ والإذعانُ والانقيادُ والطَّاعةُ.

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣٦٠)، والطبري (٥/ ٦٤٥).

والإسلامُ قد فسَّرَه النَّبيُّ ﷺ في حديثِ جبريلَ بالشَّهادتينِ مع إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ والحجِّ والصِّيامِ[١].

وأخبرَ ﷺ في حديثٍ آخرَ أنَّ الإسلامَ بُنِيَ على هذه الخمسِ[٢]، يعني أنَّه أركانُ بنائِه التي لا يقومُ البناءُ إلَّا عليها، وبقيَّةُ الأعمالِ داخِلةٌ في مُسمَّاه أيضًا.

ورُوِيَ مِن حديثِ أبي هريرةَ مَرْفوعاً أنَّه عدَّ مِن سهامِ الإسلامِ: الأمرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عنِ المُنكَرِ، والسَّلامَ على مَن لقِيَ وعلى أهلِ بيتِه إذا دخلَ إليهم[٣].

ورُوِيَ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ مرفوعًا[٤]، ومِن حديثِ حُذيفةَ مرفوعًا وموقوفًا، وعدَّ مِن سهامِه الجهادَ[٥].

وأفضلُ الإسلامِ: أن يَسْلمَ المسلمونَ مِن لسانِه ويدِه[٦]، ومِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيهِ[٧].

ومِن «صحيح مسلمٍ» عن عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ قال: بينما أنا نائمٌ إذ أتاني رجلٌ فقالَ

---

(١) حديث جبريل المشهور في الإسلام والإيمان والإحسان وهو أول حديث في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حديث ابن عمر رضي الله عنه: «بني الإسلام على خمس» في صحيح البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) سقط هذا الحديث من (ف). أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١).

(٤) عزاه المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٠) إلى ابن مردويه. وقال: «وفي إسناده ضعف ولعله موقوف».

(٥) أخرجه البزار (٢٩٢٧) مرفوعاً و(٢٩٢٨) موقوفاً.

(٦) كما في حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٧) كما في حديث أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لي: قم، فأخذَ بيدي، فانطلقتُ معَه، فإذا أنا بجَوادَّ عن[١] شمالي. قال: فأخذتُ لآخذَ فيها، فقالَ: لا تأخُذ فيها فإنَّها طرُقُ أصحابِ الشِّمالِ. فإذا جوادُّ منهجٌ عن يميني، فقالَ لي: خُذ هاهنا، قال: فأتى بي جبَلًا فقالَ لي: اصعَدْ، قال: فجعلتُ إذا أردتُ أن أصعَدَ خرَرْتُ على استي، قال: حتَّى فعلتُ ذلك مِرارًا، قالَ: ثمَّ انطلَقَ حتَّى أتى عمُودًا رأسُه في السَّماءِ وأسفَلُه في الأرضِ في أعلاهُ حلقةٌ، قالَ لي: اصعَد فوقَ هذا، قلتُ: كيفَ أصعدُ هذا ورأسُه في السَّماءِ، قالَ: فأخذَ بيدي فرحَلَ بي، فإذا أنا مُتعلِّقٌ بالحلقةِ، ثمَّ ضربَ العَمودَ فخَرَّ وبقيتُ مُتعلِّقًا بالحلقةِ حتى أصبَحْتُ، قالَ: فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقصَصْتُها عليه، قالَ: «أمَّا الطَّريقُ التي رأيتَ عن يسارِكَ: طريقُ أصحابِ الشِّمالِ، وأمَّا الطَّريقُ التي رأيتَ عن يمينِك فهي طريقُ أصحابِ اليَمينِ، وأمَّا الجبَلُ فهو منزِلُ الشُّهَداءِ ولن تنالَه، وأمَّا العمودُ فهو عمودُ الإسلامِ، وأمَّا العُروةُ فهي عُروَةُ الإسلامِ، ولن تزال مُسْتمسكًا به[٢] حتى تموتَ[٣]».

وقالَ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

فأخبرَ أنَّ قصدَ السَّبيلِ، وهو الطَّريقُ القاصدُ عليه يعني أنَّه يوصِلُ إليه، وأنَّ مِن السَّبيلِ ما هو جائرٌ عن القَصدِ غيرُ مُوصلٍ، فالسَّبيلُ القاصِدُ هو الصِّراطُ المستقيمُ، والسَّبيلُ الجائرُ هو سبيلُ الشَّيطانِ[٤]، وقد وحَّدَ طريقَه في أكثرِ المواضعِ. وجمَعَ طرُقَ الضَّلالِ لأنَّ طريقَ الحقِّ أصلُهُ شيءٌ واحدٌ وهو دينُ الإسلامِ العامُّ كما سبَقَ، وهو توحيدُ اللهِ وطاعتُه، وطرُقَ الضَّلالةِ كثيرةٌ متبوعةٌ وإن جمعَها الشِّركُ والمعصيةُ.

---

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «متمسكاً بها» وفوق بها بين الأسطر: «به».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٤).

(٤) في (ف): «الشيطان الرجيم» وفوق الكلمة الثانية علامة إلغاء.

قولُه: «وعلَى جنبَتي الصِّراطِ سُورانِ»، ثمَّ فسَّرَهما بحُدودِ اللهِ.

والمرادُ أنَّ اللهَ تعالى حدَّ حُدودًا ونهَى عن تعَدِّيها، فمَن تَعدَّاها فقد ظلمَ نفسَه، وخرَجَ عنِ الصِّراطِ المُستقيمِ الذي أُمِرَ بالثُّبوتِ عليه.

ولَمَّا كان السُّورُ يمنعُ مَن وراءَه مِن تعَدِّيه ومُجاوزَتِه: سمَّى حدودَ اللهِ سُورًا لأنَّه يمنعُ مَن دخَلَه مِن مُجاوزتِه وتعدِّي حُدودِه. قالَ اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧][1] وقالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2] إلى قولِه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ ـ ١٤]، وقالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقالَ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

وفي حديثِ أبي ثعلبةَ الخشني عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ فرَضَ فرائضَ فلا تضيِّعوها، وحرَّمَ أشياءَ فلا تَنتهِكُوها وحدَّ حُدودًا فلا تعتدوها»[3].

فحدودُ اللهِ تُطلَقُ ويرادُ بها غالبًا ما أذنَ فيه وأباحَ، فمَن تعدَّى هذه الحُدودَ فقد خرجَ ممَّا أحلَّهُ اللهُ إلى ما حرَّمَه، فلهذا نُهِيَ عن تعدِّي حدودِ اللهِ، لأنَّ تَعدِّيَها بهذا المعنى مُحرَّمٌ.

ويرادُ بها تارةً ما حرَّمَه اللهُ ونهى عنه، وبهذا المعنى يقالُ: لا تقرَبوا حدودَ اللهِ،

---

(١) في (ف): «تعتدوها».

(٢) «يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار» ليست في (ت).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢ (٥٨٩) (٦٧٧)، والدارقطني في «السنن» (٤٣٩٦) مرفوعاً، والطبري (٩/ ٢٤) موقوفاً.

كما قالَ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] بعدَ أنْ نهى عنِ ارتكابِ المفطراتِ في نهارِ الصِّيامِ، وعن مباشرةِ النِّساءِ في الاعتكافِ في المساجدِ.

فأرادَ بحُدودِه هاهنا ما نهى عنه، فلذلك نهى عن قُربانِه. فإنَّه تعالى جعلَ لكلِّ شيءٍ حدًّا، فجعلَ للمُباحِ حدًّا، وللحرامِ حدًّا، وأمرَ بالاقتصادِ على حدِّ المباحِ وأن لا يُتعدَّى، ونهى عن قربانِ حدِّ الحَرامِ.

وممَّا سُمِّيَ فيه المحرَّماتُ حُدودًا قولُ النَّبيِّ ﷺ: «مثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والمُدْهِنِ فيها كمثَلِ قومٍ اقتسَموا سفينةً...»[١] الحديثُ المعروفُ. والمرادُ بالقائمِ على حدودِ [الله][٢] المنكِرُ للمُحرَّماتِ وناهي[٣] عنها.

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «أنا آخذٌ بحُجَزِكم، اتَّقوا النَّارَ، اتَّقوا الحُدودَ» قالها ثلاثاً. خرَّجَه الطَّبرانيُّ والبزَّارُ[٤].

ومرادُه بالحُدودِ: محارِمُ اللهِ ومَعاصيهِ.

وقد تُطلَقُ الحُدودُ باعتبارِ العُقوباتِ المقدَّرةِ الرَّادعةِ عن الجرائمِ المُغلَّظةِ، فيقالُ: حدُّ الزِّنا، حدُّ السَّرِقةِ، حدُّ شُربِ الخمرِ.

وهو هذا المعروفُ مِن اسمِ الحُدودِ في اصطلاحِ الفُقَهاءِ، ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ لأُسامةَ: «أتشفَعُ في حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ» لَمَّا شفَعَ في المرأةِ التي سرَقَت[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. والمدهن: قال القسطلاني: «أي الذي يراني».

(٢) لم يرد اللفظ الجليل في النسختين، ولا بد منه.

(٣) كذا في النسختين، وصوابه: «والناهي».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٥٣)، وفي الأوسط (٢٨٧٤)، والبزار (كشف الأستار ٣٤٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وفي حديثٍ: «أقيموا الحُدودَ في الحضَرِ والسَّفَرِ، على القريبِ والبعيدِ»[١].

وقال عليٌّ: أقيمُوا الحدودَ على ما ملكَتْ أيمانُكم[٢].

وأمَّا قولُه ﷺ في حديثِ أبي بُردةَ: «لا يُجْلَدُ فوقَ عشرِ جَلداتٍ إلَّا في حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ عزَّ وجلَّ»[٣]، فقدِ اختلَفُوا في المرادِ بالحَدِّ هنا: هل هو الحُدودُ المُقدَّرةُ شَرْعًا، أمِ المُرادُ بالحَدِّ ما حدَّهُ اللهُ ونهى عن قُربانِه فيدخلُ فيه سائرُ المعاصي ويكونُ المرادُ: النَّهيَ عن تجاوُزِ العشرِ جَلْداتٍ بالتَّأديبِ ونحوِه ممَّا ليس عقوبةً على محرمٍ؟ هذا فيه اختلافٌ مشهورٌ بين العلماءِ.

وقالَ تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقالَ تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]. والمرادُ بحدودِ اللهِ هاهنا ما يفصلُ بين الحلالِ والحرامِ ويتميَّزُ به أحدُهما مِن الآخرِ.

وقد مدحَ اللهُ الحافظينَ لحدودِه في قولِه: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وفي الحديثِ المرفوعِ مِن حديثِ عمرِو بنِ شُعَيبٍ عن أبيهِ عن جدِّه: «يُمَثَّلُ القرآنُ رَجُلًا يومَ القيامةِ، فيُؤتى بالرَّجُلِ قد حملَه فخالفَ أمرَه[٤]، فيَمثُلُ له خَصْمًا، فيقولُ: يا ربِّ حمَّلْتَه إيَّايَ، فبئسَ حاملٌ، تعدَّى حُدودِي وضيَّعَ فَرائضِي ورَكِبَ مَعصِيَتِي، وقال: ويُؤتى بالرَّجُلِ الصَّالحِ كان قد حمَلَه فيَمثُلُ خَصْمًا دونَه فيقولُ:

---

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٤١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) هو حديث مرفوع. أخرجه الإمام أحمد (٧٣٦) وغيره من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤٨)، ومسلم (١٧٠٨) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «أمره ونهيه» وفوق «نهيه» (علامة إلغاء)، ولا توجد اللفظة في مصادر التخريج.

يا ربِّ حمَّلْتَه إيَّايَ، فخيرُ حاملٍ، حفظَ حُدودي وعمِلَ بفَرائضِي واجتنَبَ مَعصِيَتي»[١].

والمرادُ بحفظِ الحُدودِ هنا: المحافظةُ على الواجباتِ، والانتهاءُ عنِ المُحرَّماتِ.

وفي حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «الحلالُ بيِّنٌ والحَرامُ بيِّنٌ، وبينَهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ، لا يعلَمُهنَّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فمَنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرَأَ لِدِينِه وعِرْضِه، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ وقَعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يَرْعى حولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يُخالِطَه، أَلَا وإنَّ لكُلِّ مِلكٍ حِمًى، أَلَا وإنَّ حِمَى اللهِ في أرضِه[٢] مَحارِمُه»[٣] وهو حديثٌ مُتَّفقٌ على صحَّتِه.

فمثَّلَ المُحرَّماتِ في هذا الحديثِ بالحِمَى، وهو ما تحميهِ الملوكُ ويُمنع[٤] مِن قُربانِه، وجعَلَ الحلالَ بيِّنًا والحرامَ بيِّنًا، ومُرادُه الحَلالُ المَحْضُ والحَرامُ المَحْضُ؛ فإنَّ لكلٍّ منهما حُدودًا معروفةً في الشَّريعةِ، وجُعلَ بينَهما أمورٌ مشتبهة على كثيرٍ مِن النَّاسِ، لا يَدرونَ هل هيَ مِن الحَلالِ أمْ مِن الحَرامِ، فدَلَّ على أنَّ مِن النَّاسِ مَن لا يَشتبِه عليه حُكمُها فيعلمُ أنَّها حَلالٌ أو أنَّها حَرامٌ. فأمَّا مَن اشتبَه عليه حُكمُها فإنَّ الأولى له أن يتَّقِيَها ويجتنِبَها، كما قالَ عمرُ: ذَرُوا الرِّبا والرِّيبةَ[٥].

وأخبرَ أنَّه مَن وقعَ في الأمورِ المُشتبِهَةِ وقعَ في الحرامِ، والمرادُ أنَّ نفسَه تَدعوهُ مِن ارتكابِ الشُّبُهاتِ إلى ارتكابِ الحرامِ.

ومثَّلَه بالرَّاعي حولَ الحِمَى يُوشِكُ أن يرتعَ فيه، فأمَّا مَن بعُدَ عن الحِمَى فإنَّه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٦٦٧).

(٢) في (ت): «في حمى الله محارمه». ولعل «في» قد ضرب عليها لكن لم يتضح في الصورة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٤) في (ف): «وتمنع».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٤٦)، وابن ماجه (٢٢٧٦)، ولفظهما: «فدعوا الربا والريبة».

يَبعدُ وقوعُه في الحَرامِ، ولهذا قالَ مَن قالَ مِن السَّلَفِ: «اجعَلْ بينكَ وبين الحرَامِ شيئًا مِن الحَلالِ»[١].

وفي الحديثِ المرفوعِ الذي خرَّجَه التِّرمذيُّ: «لا يَبلغُ العبدُ أن يكونَ مِن المتَّقينَ حتَّى يدعَ ما لا بأسَ به حذرًا ممَّا بهِ بأسٌ»[٢].

وهذه الأمورُ المُشتبهاتُ منها ما يَقْوَى شبهُه بالحرامِ، ومنها ما يَبعدُ شبَهُهُ بالحرامِ، ومنها ما تتردَّدُ الشُّبهةَ بين الحلالِ والحرامِ.

فالأوَّلُ: يَقْوَى فيه التَّحريمُ.

والثَّاني: يَقوى فيه الكراهةُ.

والثَّالثُ: يُتردَّدُ فيه، واجتنابُ الكلِّ حسَنٌ وهو الأفضلُ والأوْلَى.

* * *

وقولُه: «**فيهما: ـ يعني السُّورَيْنِ ـ أبوابٌ مفتَّحةٌ وعلى الأبوابِ ستورٌ مُرخاةٌ**».

ثمَّ فسَّرَ الأبوابَ المفتَّحةَ بمَحارمِ اللهِ، لَمَّا شبَّهَ حدودَ اللهِ بالسُّورَيْنِ المكتنِفَيْنِ للصِّراطِ يَمنةً ويَسرةً ـ والسُّورُ يقتضي المنعَ، وأصلُ الحدِّ في اللغةِ المنعُ ـ شبَّهَ المحارِمَ بالأبوابِ المفتَّحةِ في السُّورَينِ اللَّذينِ هما حدُّ الصِّراطِ المستقيمِ ونهايتُهُ، وجعلَ الأبوابَ مُفتَّحةً غيرَ مُغلقةٍ ولا مُقفلَةٍ، وجعلَ عليها سُتورًا مُرخاةً بحيثُ يتمكَّنُ كلُّ أحدٍ مِن رفعِ تلك السُّتورِ ووُلوجِ تلك الأبوابِ.

---

(١) هو أحد ألفاظ حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً، أخرجه الطبراني٢١ (٢٠)، وابن حبان (٥٥٦٩)، وابن المقرئ في معجمه (٤٥) عن النعمان عن النبي ﷺ ولفظه: «اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال».

(٢) أخرجه من حديث عطية السعدي: الترمذي (٢٤٥١) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤٢١٥).

وهكذا الشَّهواتُ المحرَّمةُ، فإنَّ النُّفوسَ مُتطلِّعةٌ إليها وقادرةٌ عليها، وإنَّما يمنعُ منها مانعُ الإيمانِ خاصَّةً. والنُّفوسُ مولعةٌ بمطالعةِ ما مُنِعت منه، كما في الحديثِ: «لو يمنعُ النَّاسُ فتَّ البعرِ، لقالوا: فيهِ الدُّرُّ»(١).

وفي حديثٍ آخرَ مرفوعٍ: «لو نهيتُ أحدَهم أن يأتيَ الحجونَ لأوشكَ أن يأتيَه مِرارًا، وليس له إليهِ حاجةٌ»(٢).

وحكايةُ ذي النُّونِ المِصريِّ مع يوسفَ بنِ الحُسَينِ الرَّازيِّ في الطَّبَقِ الذي أرسلَه، وأمرَه أن لا يكشفَه معروفةٌ(٣).

والمحرَّماتُ أمانةٌ مِن اللهِ عند عبدِه، والسَّمعُ أمانةٌ، والبصرُ واللِّسانُ أمانةٌ، والفَرْجُ أمانةٌ وهو أعظمُها. وكذلك الواجباتُ كلُّها أماناتٌ، كالطَّهارةِ والصِّيامِ والصَّلاةِ وأداءِ الحُقوقِ إلى أهلِها، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٤) قولًا كان يقال، ولم يذكره حديثاً. ثم أورده الغزالي في «الإحياء» في الباب الخامس من كتاب العلم، ورفعه إلى النبي ﷺ بلفظ: «لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء»، وهو من الأحاديث التي ذكر السبكي في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٨٩) أنه لم يجد لها إسناداً، وقال العراقي: «لم أجده»، وفي «المقاصد الحسنة» (٨٣١) نقلاً عن العراقي: «لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلاً، وهو ضعيف، رواه ابن شاهين».

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٦٩)، والطبراني في «الكبير» ٢٢ (٣١٩) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٨٦)، وخلاصتها: أن يوسف بن الحسين طلب من ذي النون أن يعلمه اسم الله الأعظم، فأرسل معه ذو النون طبقاً مغطى مشدوداً بمنديل إلى صديق له، وفي الطريق فتحه يوسف فإذا فيه فأرة قفزت ومرت، فقال له ذو النون: يا مجنون ائتمنتك في فأرة فخنتني!!..

ثـمَّ ذكـرَ حُكمَـه فقـال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحـزاب: ٧٢ ـ ٧٣].

وفي الحديثِ الصَّحيحِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ»(١). وفي روايةٍ: «حُجِبَتْ» بدلَ «حُفَّتْ»(٢).

فـاللهُ سبحانَه امتحنَ عِبادَه فـي هـذه الدَّارِ بهذه المحرَّماتِ مِن الشَّهواتِ والشُّبُهاتِ، وجعلَ في النَّفسِ داعيًا إلى حُبِّها مع تمكُّنِ العبدِ منها وقُدرتِه عليها.

فمَن أدَّى الأمانةَ وحفِظَ حُدودَ اللهِ ومنعَ نفسَه ما يُحِبُّه مِن مَحارمِ اللهِ كان عاقبتُه الجنَّةَ، كما قـالَ تـعـالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١] فلذلكَ يحتاجُ العبدُ في هذه الدَّارِ إلى مجاهدةٍ عَظيمةٍ، يُجاهِدُ نفسَه في اللهِ عزَّ وجلَّ، كما في الحديثِ: «المجاهِدُ مَن جاهدَ نفسَه في اللهِ عزَّ وجلَّ»(٣). فمَن كانت نفسُه شريفةً وهِمَّتُه عاليةً لم يرضَ لها بالمعاصي فإنَّها خِيانةٌ، ولا يرضى بالخِيانةِ إلَّا مَن لا نفسَ له.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: رأيتُ المعاصيَ نذالةً، فتركتُها مُروءةً، فاستحالَتْ دِيانةً(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٥١) (٢٣٩٥٨) (٢٣٩٦٥) (٢٣٩٦٧)، والترمذي (١٦٢١) وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٤)، وابن ماجه (٣٩٣٤) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «قال في القاموس: النذل والنذيل: الخسيس من الناس، المحتقر في جميع أحواله، والجمع أنذال، ونذول». والأثر ذكره ابن المرزبان في «المروءة» (ص: ١١٠) ونسبه لابن سمعون، وأخرجه عن ابن سمعون: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٩٦).

وقالَ آخرُ منهم: تركتُ الذُّنوبَ حياءً أربعينَ سنةً، ثمَّ أدركَني الورَعُ[١].

وقالَ آخرُ: مَن عمِلَ في السِّرِّ عمَلاً يَستحيي منه إذا ظهرَ عليه فليس لنفسِه عندَه قَدْرٌ[٢].

قالَ بعضُهم: ما أكرمَ العِبادُ أنفُسَهُم بمثلِ طاعةِ اللهِ، ولا أهانُوها بمثلِ مَعاصي اللهِ عزَّ وجلَّ[٣]. فمَنِ ارتكبَ المحارمَ فقد أهانَ نفسَه.

وفي المثَلِ المضروبِ: أنَّ الكلبَ قالَ للأسدِ: يا سيِّدَ السِّباعِ! غيِّرِ اسْمِي فإنَّه قبيحٌ، فقالَ له: أنت خائنٌ، لا يَصلحُ لك غيرُ هذا الاسمِ، قال: فجَرِّبني، فأعطاهُ شقَّةَ لحمٍ، وقالَ: احفَظْ لي هذهِ إلى غدٍ وأنا أُغيِّرُ اسمكَ، فجاعَ وجعلَ ينظرُ إلى اللَّحمِ ويصبرُ. فلمَّا غلَبَتْه نفسُه قال: وأيُّ شيءٍ [أعمَلُ][٤] باسمي، وما كلبٌ إلا اسمٌ حسَنٌ، فأكلَ[٥].

ولهذا المعنى شبَّهَ اللهُ عالمَ السُّوءِ الذي لم ينتفِع بعِلمِه بالكلبِ، فقالَ تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٣٥) من كلام الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان فارس أهل الشام، ولفظه: «خشية» بدل: «حياءً».

(٢) أخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٠٠٠) من كلام ذي النون رحمه الله.

(٣) أخرجه من كلام بعض التابعين ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٩٧)، و«مكارم الأخلاق» (٦٤)، و«التوبة» (٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٥٢) (٦٨٥٣).

(٤) «أعمل» مضافة من حاشية (ف).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (٦١٥).

ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٧][1].

والمرادُ بهذا المثَلِ: أنَّ مَن لم يَزجُرْه عِلمُه عنِ القبيحِ صارَ القبيحُ عادةً له ولم يُؤثِّر فيه عِلمُه شيئًا، فيصيرُ حالُه كحالِ الكلبِ اللَّاهثِ؛ فإنَّه إن طُرِدَ لهثَ وإن تُرِكَ لهثَ، فالحالَتانِ عندَه سواءٌ، وهذا أخسُّ أحوالِ الكلبِ وأبشَعُها، فكذلك مَن يَرتكِبُ القبائحَ مع جهلِه ومع علمِه فلا يُؤثِّرُ عِلمُه شيئًا، وكذلك مَثَلُ مَن لا يرتدِعُ عن القبيحِ بوعظٍ ولا زَجْرٍ ولا غيرِه؛ فإنَّ فعلَ القبيحِ يصيرُ عادةً ولا ينزجِرُ عنه بوعظٍ ولا تأديبٍ ولا تعليمٍ، بل هو مُتَّبِعٌ للهَوى على كلِّ حالٍ، فهذا مثلُ كلِّ مَنِ اتَّبَعَ هواهُ، ولم ينزجِر عنه بوعظٍ ولا غيرِه، وسواءٌ كان الهوَى المتَّبَعُ داعيًا إلى شهوةٍ حِسِّيَّةٍ، كالزِّنا والسَّرقةِ وشُربِ الخمرِ، أو إلى غضبٍ وحِقدٍ وكِبْرٍ وحسَدٍ، أو إلى شُبهةٍ مُضِلَّةٍ في الدِّينِ، وأشَدُّ ذلك حالُ مَن اتَّبعَ هواه في شُبهةٍ مُضِلَّةٍ، ثمَّ مَن اتَّبعَ هواه في غضَبٍ وكِبرٍ وحِقْدٍ وحسَدٍ، ثمَّ مَن اتَّبعَ هواهُ في شَهوةٍ حِسِّيَّةٍ. ولهذا يقالُ: إنَّ مَن كانت مَعصيتُه في شهوةٍ فإنَّه يُرجَى له، ومَن كانت مَعصيتُه في كِبْرٍ لم يُرْجَ[2].

ويقالُ: إنَّ البِدعَ أحبُّ إلى إبليسَ مِن المعاصي؛ لأنَّ المعاصيَ يُتابُ مِنها، والبدَعَ يَعتقِدُها صاحبُها دينًا فلا يتوبُ مِنها[3].

والمقصودُ: أنَّه لَمَّا كانتِ النَّفسُ والهوى داعيَيْنِ إلى فتحِ أبوابِ المحارمِ

---

(١) في حاشية (ت): «بلغ».

(٢) هذا معنى كلام لابن عيينة، أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٦٧).

(٣) وهذا من كلام سفيان بن عيينة، أخرجه عنه: ابن الجعد في «مسنده» (١٨٠٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٩).

وكشفِ سُتورِها وارتكابِها جعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ لها داعيَيْنِ يزجُرانِ مَن يريدُ ارتكابَ المحارمِ وكشفَ سُتورِهما[١].

أحدُهما: **داعي القُرآنِ**، وهو الدَّاعي على رأسِ الصِّراطِ، يدعو النَّاسَ كلَّهم إلى الدُّخولِ في الصِّراطِ والاستقامةِ عليه، وأن لا يُعرِّجُوا عنه يَمنةً ولا يَسْرةً، ولا يفتَحوا شيئًا مِن تلك الأبوابِ التي عليها السُّتورُ المُرخاةُ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ حاكيًا عن عبادِه المؤمنينَ أنَّهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، والمرادُ به القرآنُ عندَ أكثرِ السَّلَفِ[٢].

وقالَ حاكيًا عنِ الجنِّ الذين استمَعوا القرآنَ إنَّهم لَمَّا رجَعوا إلى قومِهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠ ـ ٣١].

وقد وصفَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ بأنَّه يدعو الخلقَ بالكتابِ إلى الصِّراطِ المُستقيمِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٣ ـ ٧٤].

وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ يَدْعو الخلقَ بالقُرآنِ إلى الدُّخولِ في الإسلامِ الذي هو الصِّراطُ المستقيمُ، وبذلك استجابَ له خواصُّ المؤمنينَ كأكابرِ المُهاجرينَ والأنصارِ، ولهذا المعنى قالَ مالكٌ: فُتِحَتِ المدينةُ بالقرآنِ[٣].

يعني أنَّ أهلَها إنَّما دخَلُوا في الإسلامِ بسَماعِ القُرآنِ.

---

(١) كذا تصحفت في النسختين، والصواب: «ستورها».

(٢) هو قول محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري (٦/ ٣١٥).

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٢٧) من كلام الإمام مالك. وقال يحيى بن معين (سؤالات ابن الجنيد ٤٨٦): أصحاب مالك يروونه من كلام مالك. وكذَّبَ يحيى مَنْ رفعه إلى النبي ﷺ.

كما بعثَ النَّبيُّ ﷺ مُصعبَ بنَ عُمَيرٍ قبلَ أن يُهاجِرَ إلى المدينةِ، فدعا أهلَ المدينةِ إلى الإسلامِ بتِلاوةِ القُرآنِ عليهم، فأسلمَ كثيرٌ منهم(١).

قال بعضُ السَّلَفِ: مَن لم يردَعْهُ القرآنُ والموتُ لو تَناطحَتِ الجِبالُ بين يديهِ لم يَرتدِعْ(٢).

وقال آخرُ: مَن لم يتَّعِظ بثَلاثٍ لم يتَّعِظ بشَيءٍ: الإسلامُ، والقرآنُ، والمشيبُ(٣)، كما قيلَ:

..... كفَى الشَّيبُ والإسلامُ للمَرْءِ ناهِيا(٤)

قال يحيى بنُ مُعاذٍ: الإسلامُ نقِيٌّ فلا تُدنِّسْهُ بآثامِكَ(٥).

منعَ الهوى مِن كاعِبٍ ومُدَامِ(٦) [نور المشيبِ وواعظُ الإسلامِ](٧)

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٧٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على «الزهد» (٩٤٢) من كلام يزيد بن تميم.
وفي «تاريخ بغداد» (٨/ ٣١١) نسبته إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي، وهو متأخر عن يزيد بن تميم، فلعله كان يردد ذلك القول فنسب إليه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٤٠) من كلام عبد العزيز بن أبي رواد، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٤)

(٤) شطر بيت أوله: «ودِّع سُليمى إن تجهزتَ غازيا.....». وهو لسحيم مولى بني الحسحاس، وقد سمعه سيدنا عمر بن الخطاب. انظر الخبر في «الأدب المفرد» للبخاري (١٢٣٨).

(٥) نقله المصنف رحمه الله أيضًا في «فتح الباري» (١/ ٢٣٠)، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٣٢٧) بهذا اللفظ. وهو في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٩٤) بلفظ: «الليل طويل فلا تقصِّره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك»!

(٦) بعده في (ف) و(ت): بياض بمقدار لوحة كاملة.

(٧) ما بين معقوفين هو تتمة البيت ومحل الشاهد وقد سقط من النسختين. وهو أول أبيات أنشدها ابن أبي الدنيا عن صاحب له في «الزهد» (٢٧٣)، وفي «ذم الدنيا» (٢٨٣).
والبياض في النسختين دليل على فقدان ورقة من الكتاب قديماً. ولا بد أن فيها: =

[وروى أبو الزعراء، عن ابن مسعود قال: يأمرُ اللهُ بالصراطِ، فُيضَربُ على جهنَّمَ، فيمرُّ الناسُ على قَدْرِ أعمالِهم زُمراً زمراً، أوائلُهم كلمحِ البرقِ، ثم كَمَرِّ الرِّيحِ، ثم كمَرِّ الطيرِ، ثم كمرِّ البهائم، حتى يمرَّ الرجلُ سعياً، وحتى يمرَّ الرجلُ مشياً، حتى يجيء آخرهم يتلبَّطُ على بطنه، فيقول: يا رب لم بطَّأت][1] بي، فيقولُ: إنما بطَّأ بكَ عملُك.

ومَن كان في الدُّنيا قد خرجَ عنِ الاستقامةِ على الصِّراطِ، ففتحَ أبوابَ المحارمِ التي في سُورَي الصِّراطِ يَمنةً ويَسْرةً، ودخلَ إليها سواءٌ كانتِ المحارمُ مِن الشَّهواتِ أو مِن الشُّبُهاتِ أخذَتْه الكَلاليبُ الذي على ذلك الصِّراطِ يَمنةً ويَسرةً بحسبِ

= ذكر الداعي الثاني الذي يزجر عن ارتكاب المحارم وكشف ستورها، وهو الداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ٣٩١) وقد روى حديث النواس بن سمعان بتمامه، ثم قال: «فتأملنا هذا الحديث فوجدنا كل ما فيه مكشوف المعنى، غير ما فيه من واعظ الله في قلب كل مسلم، فإنا احتجنا إلى الوقوف على حقيقته ما هو؟ فنظرنا في ذلك، فوجدنا الواعظ من الآدميين هو الذي ينهى الناس عن الوقوع فيما حرم الله عليهم، فعقلنا بذلك أن مِثْلَه في قلب المسلم، هي حجج الله عز وجل التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله عز وجل وحظره عليه، وإنها هي واعظ الله في قلبه من البصائر التي جعلها فيه، والعلوم التي أودعه إياها، فيكون نهيها إياه عن ذلك، وزجرها إياه عنه كنهي غيرها من الناس الذين في قلوبهم مِثْلُها إياه عن ذلك، والله نسأله التوفيق».

(١) سقط الحديث من النسختين، وهو في آخر البياض منهما، وقد أثبتناه بقرينة ما بقي منه. وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٧٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧) (٤/ ٥٩٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٨٠). وقد أورده المصنف في «التخويف من النار» (الباب السادس والعشرون) ومنه اللفظ المثبت.

ما فتحَ في الدُّنيا مِن أبوابِ المحارمِ ودخلَ إليها. فمِنهم المكردسُ[١] في النَّارِ، ومِنهم مَن تخدشُه الكَلاليبُ ويَنجو[٢].

رأى بعضُ السَّلَفِ وكان شابًّا في منامِه كأنَّ النَّاسَ حُشِرُوا، وإذا بنهرٍ مِن لهَبِ النَّارِ عليه جسرٌ يجوزُ النَّاسُ عليه يُدعَوْنَ بأسمائِهم، فمَن دُعِيَ أجابَ فناجٍ وهالكٌ، قال: فدُعِيَ باسمي فدخلتُ في الجسرِ فإذا حدٌّ كحَدِّ السَّيفِ يَمورُ بي يمينًا وشِمالًا، فأصبحَ الرَّجلُ أبيضَ الرَّأسِ واللِّحيةِ ممَّا رأى[٣].

سمِعَ بعضُهم قائلاً يقولُ:

أمامـي موقـفٌ قُـدَّامَ ربِّـي ... يُسائِلُني ويَنكشِـفُ الغِطـاءُ[٤]

وحَسبي أن أمُـرَّ علـى صِراطٍ ... كحَـدِّ السَّـيفِ أسـفَلُه لَظَـاءُ[٥]

فغُشِيَ عليه[٦].

قال الفُضَيلُ لبِشْرٍ: بلَغَني أنَّ الصِّراطَ مسيرةُ خمسةَ عشرَ ألفَ فرسخٍ، فانظر كيفَ تكونُ عليه[٧].

---

(١) في (ف): «المكدوش».

(٢) كما في حديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم (١٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٩٥).

(٤) في (ت): «الغطا».

(٥) في (ت): «لظا».

(٦) القصة في ترجمة أسود بن سالم في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٩٩).

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وقد أورده أيضاً في «التخويف من النار» في الباب السادس والعشرين.

قال بعضُ السَّلَفِ: بلَغَنا أنَّ الصِّراطَ يكون على بعضِ النَّاسِ أدقَّ مِن الشَّعرِ، وعلى بعضِهم كالوادي الواسِعِ[1].

قال سهلٌ التُّسْتَرِيُّ: مَن دقَّ عليه الصِّراطُ في الدُّنيا عَرُضَ له في الآخرةِ، ومَن عَرُضَ له في الدُّنيا الصِّراطُ دقَّ عليه في الآخرةِ[2]، والمعنى: أنَّ مَن صبَرَ نفسَه على الاستقامةِ على الصِّراطِ، ولم يُعرِّج عنه يَمنةً ويَسْرةً، ولا كشفَ شيئًا مِن السُّتورِ المُرخاةِ على جانبَيهِ ممَّا تهواهُ النُّفوسُ مِن الشَّهَواتِ أوِ الشُّبُهاتِ، بل سارَ على متنِ الصِّراطِ المُستقيمِ حتَّى أتى ربَّه، وصبرَ على دقَّةِ ذلك عَرُضَ له الصِّراطُ في الآخرةِ، ومَن وسَّعَ على نفسِه الصِّراطَ في الدُّنيا فلم يَستقِم على جادَّتِه بل كشفَ سُتورَه المُرخاةَ مِن جانبيهِ يَمنةً ويَسرةً، ودخلَ ممَّا شاءَتْ نفسُه مِن الشَّهواتِ والشُّبهاتِ دقَّ عليه الصِّراطُ في الآخرةِ، فكان عليه أدَقَّ مِن الشَّعرِ:

أمَا آنَ يا صاحِ أن تَسْتفيقا ... وأن تتَناسى الهَوَى والفُسوقَا

وقد ضَحِكَ الشَّيبُ فاحزَنْ له ... وصارَ مَساؤُكَ فيهِ شُروقَا

ألا فازْجُرِ النَّفسَ عن غيِّهَا ... عساكَ تجوزُ الصِّراطَ الدَّقيقَا

ودونَ الصِّراطِ لنا مَوقِفٌ ... بهِ يَتناسى الصَّديقُ الصَّديقَا

فتُبصِرُ ما شئتَ كفًّا تُعَضُّ ... وعَيْنًا تَسِحُّ وقَلْباً خَفُوقَا

---

(١) قاله سعيد بن أبي هلال، أخرجه ابن المبارك في «الزهد (زيادات نعيم ص: ١٢٢)»، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٩٧).

إذا أطبقَـتْ فوقَهُـم لـم تَكُن لِتسـمعَ إلَّا البُـكَا والشَّـهيقَا
شـرَابُهمُ المهـلُ فـي قعرِهـا يُقطِّـعُ أوصالَهـم والعُروقَـا[1]

آخرُه.

* * *

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ تَسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ[2]

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: كُلِ الحَلالَ وادعُ بما شئتَ[3].

وقال لرجلٍ: اعبُدِ اللهَ سِرًّا حتى تخرُجَ على النَّاسِ يومَ القيامةِ كمينًا[4]

[وقال: لو غسلتُ وجهي ما كنتُ إلا مرائياً[5].

وقال: ما صدق اللهَ عبدٌ أحبَّ الشهرةَ[6].

---

(١) أوردها ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٤٠) في قصيدة أطول مما هنا، بفروق يسيرة.

(٢) لم يأت هذا في (ف).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٩٦)، وفي «شعب الإيمان» (٦٥٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩). وهنا خرم في النسخة (ف).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٩٠) (٢٩٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٠).

(٦) أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣١٧).

وقال أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى، مَنْ منعَ نفسَه هواها فقد استراحَ من الدنيا وبلاها، وكان محفوظاً معافىً من أذاها[١].

وقال: إنك إن أدمتَ النظر في مرآة التوبة بان لك قُبْحُ شَيْن المعصية[٢].

وقال: أنا مشغول بثلاث: بالشكر للنعمة، والاستغفار للذنوب، والاستعداد للموت[٣]][٤].

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٢).

(٤) ما بين معقوفين من (ت)، وهو مخروم من النسخة (ف). وفي حاشية (ت): «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».